الآليات الابستيمولوجية في نقد الجابري للخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية

م.م . حسن على نبي
hassanali@uor.edu.krd
قسم الدراسات الاسلامية / كلية القانون والدراسات الاسلامية / جامعة راپرين ، اقليم كوردستان/ العراق
م.م. عمر خدر رسول
omer.khdir@uor.edu.krd
قسم الدراسات الاسلامية / كلية القانون والدراسات الاسلامية / جامعة راپرين ، اقليم كوردستان/ العراق

م.م. حسين محمد نوري
hussein.mohammed@uor.edu.krd
قسم الدراسات الاسلامية / كلية القانون والدراسات الاسلامية / جامعة راپرين ، اقليم كوردستان/ العراق

الكلمات المفتاحية: الابستيمولوجيا، الجابري، الخطاب ، التراث، الحداثة .

كيفية اقتباس البحث

نبي، حسن على ، عمر خدر رسول ، حسين محمد نوري، الآليات الابستيمولوجية في نقد الجابري للخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٩ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed IASJ
مسجلة في Registered ROAD

Epistemological Mechanisms in al-Jabri's Critique of Contemporary Arab Discourse: A Critical Analytical Study

Assistant Lecturer: Hassan Ali Nabi
Dept. of Islamic Studies, College of Law and Islamic Studies, University of Raparin, Kurdistan Region/Iraq

Assistant Lecturer: Omar Khader Rasoul
Dept. of Islamic Studies, College of Law and Islamic Studies, University of Raparin, Kurdistan Region/Iraq

Assistant Lecturer: Hussein Mohammed Nouri
Dept. of Islamic Studies, College of Law and Islamic Studies, University of Raparin, Kurdistan Region/Iraq

Keywords : Epistemology, al-Jabri, Discourse, Heritage (al-Turath), Modernity (al-Hadatha).

How To Cite This Article
Nabi, Hassan Ali , Omar Khader Rasoul , Omar Khader Rasoul , Epistemological Mechanisms in al-Jabri's Critique of Contemporary Arab Discourse: A Critical Analytical Study,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2026,Volume:16,Issue 9.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Research Summary:

This study addresses the project of the Moroccan thinker Mohammed Abed al-Jabri in critiquing contemporary Arab discourse, proceeding from a fundamental question: why did the Arabs fall behind and why did their renaissance falter? Al-Jabri sought to answer this question by dissecting the epistemic structure of Arab reason, drawing on tools of Western epistemology such as the concepts of Foucault, Bachelard, and Althusser. Al-Jabri identified three epistemic systems governing Arab-Islamic culture: the *Bayani* (demonstrative/rhetorical), which dominates religious and linguistic discourse; the *Irfani* (gnostic), which represents esoteric irrationalism; and the *Burhani*

(demonstrative/apodictic), which is based on logic and methodical rational inference. Al-Jabri holds that the dominance of the Bayani system at the expense of the Burhani led to an emotive discourse lacking critical rationality. He also directed criticism at the three major Arab discourses: Salafi discourse suffers from a rupture between thought and reality; existentialist discourse was borrowed from the West without genuine authenticity; and political discourse, in al-Jabri's view, remained captive to three unconscious determinants: tribe, creed, and spoils.

The study concludes that al-Jabri's project remains an indispensable critical contribution to contemporary Arab thought, despite a methodological shortcoming represented by his employment of Western tools to critique Arab heritage — a point raised against him by critics such as Abu Zayd, Arkoun, and Tarabishi. His project was not spared criticism: Tarabishi accused him of Moroccan (Maghribi) bias, Abu Zayd pointed to a methodological contradiction in using Western tools to critique Arab heritage, while Arkoun criticized him for neglecting the religious-anthropological dimension.

The nature of the study requires dividing it into three sections and a conclusion: the first section clarifies the concepts and terminology; the second section presents al-Jabri's conception of reason and Arab discourse; while the third section discusses al-Jabri's critique of Arab discourse and a summary of the aspirations of his critical project. The conclusion reviews the study's most important findings and conclusions.

ملخص البحث:

يتناول هذه الدراسة مشروع المفكر المغربي محمد عابد الجابري في نقد الخطاب العربي المعاصر، منطلقاً من سؤال جوهري هو: لماذا تأخّر العرب وتعثّرت نهضتهم؟ وقد سعى الجابري إلى الاجابة عن هذا السؤال من خلال تشريح البنية المعرفية للعقل العربي، مستعيناً بأدوات الابستيمولوجيا الغربية كمفاهيم فوكو وباشلار وألتوسير، وقد كشف الجابري عن ثلاث أنظمة معرفية تحكم الثقافة العربية الاسلامية، هي: **البياني** الذي يهيمن على الخطاب الديني واللغوي، **والعرفاني** الذي يمثل اللامعقول الباطني، و**البرهاني** الذي يقوم على المنطق والاستدلال العقلي المنهجي، ويرى الجابري أن هيمنة النظام البياني على حساب البرهاني أفضت إلى خطاب انفعالي يفتقر إلى العقلانية النقدية، كما وجّه الجابري نقداً للخطابات العربية الثلاثة الكبرى؛ فالخطاب **السلفي** يعاني من الانفصام بين الفكر والواقع، **والخطاب الوجودي** جاء مستعاراً من الغرب دون أصالة حقيقية، **أما الخطاب السياسي** وجهة نظر الجابري ضل أسير ثلاث محددات لاشعورية هي القبيلة والعقيدة والغنيمة.

وتخلص الدراسة إلى أن مشروع الجابري يبقى إضافةً نقديةً لا يمكن تجاوزها في الفكر العربي المعاصر، رغم ما يعتريه من قصور منهجي تمثّل في توظيف أدوات غربية لنقد موروث عربي، وهو ما أخذه عليه ناقدون كأبي زيد وأركون وطرابيشي، غير أن مشروعه لم يسلم من النقد؛ إذ أخذ عليه طرابيشي التحيز المغربي، وأخذ عليه أبو زيد التناقض المنهجي في توظيف أدوات غربية لنقد الموروث العربي، فيما انتقده أركون لإهماله البعد الانثروبولوجي الديني .

وتقتضي طبيعة الدراسة تقسيمها إلى ثلاثة مباحث وخاتمة: يوضح المبحث الأول المفاهيم والمصطلحات، ويبين المبحث الثاني مفهوم العقل عند الجابري والخطاب العربي، بينما يناقش المبحث الثالث نقد الجابري للخطاب العربي وخلاصة تطلعات مشروعه النقدي، وتستعرض الخاتمة أبرز نتائج البحث واستنتاجاته.

المقدمة:

يُعدّ محمد عابد الجابري(١٩٣٥-٢٠١٠) من أبرز المفكرين العرب الذين أسهموا في نقد الخطاب الفلسفي والثقافي العربي المعاصر، إذ انصبّ اهتمامه الرئيسي على تشريح البنية المعرفية للعقل العربي والكشف عن الاسس الابستيمولوجية التي تحكم إنتاج الخطاب في الثقافة العربية، ويُشكّل مشروعه الفكري الكبير، المتجلّي في سلسلة كتبه الموسومة بـ"نقد العقل العربي"، إطاراً منهجياً وفكرياً خصباً لدراسة أنماط التفكير العربي وآليات توليد المعرفة، بما يجعله من أكثر المشاريع الفكرية العربية جرأةً وعمقاً في القرن العشرين.

وُلد الجابري في ٢٨ ديسمبر ١٩٣٥م بقصر الزناكة في قرية فجيج التي تقع في الجنوب الشرقي من المغرب على خط الحدود بين المغرب والجزائر، من عائلة أمازيغية تمتهن الفلاحة والعديد من الصنائع .وقد عاش الجابري في رعاية أهله، ونشأ في بيئة ثقافية مشحونة بتوترات الهوية بين الموروث والمستحدث في ظل الاستعمار الفرنسي للمغرب، وقد كتب سيرته الذاتية في مؤلفه "حفريات في الذاكرة من بعيد"، متناولاً ذكرياته التي تمتد من الطفولة الاولى حتى الانخراط في الحياة العامة والاكاديمية [١] .

أسهم نشأته في مرحلة الاستعمار الفرنسي للمغرب في تعميق وعيه بإشكالية الهوية والتحرر، وهو ما انعكس لاحقاً على مشروعه الفكري النقدي، وقد واصل تعليمه الفلسفي في جامعة محمد الخامس بالرباط، حيث أصبح أستاذاً متميزاً ومفكراً رائداً، وقد تأثر الجابري في بدايات مسيرته الفكرية بالفلسفة الماركسية والقومية العربية، قبل أن يُطوّر رؤيةً نقديةً مستقلةً تجمع بين الالتزام الحضاري بالتراث والانفتاح المنهجي على أدوات الحداثة الغربية.

انطلق الجابري من إشكالية مركزية، هي :لماذا تأخر العرب؟ وكيف يمكن تفسير أزمة النهضة العربية؟ ولإجابة هذا السؤال لجأ إلى تحليل الخطاب بوصفه نسقاً معرفياً يحمل في طياته قيماً وأيديولوجيات ورؤى للعالم، وقد اعتمد في مقاربته على أدوات الحداثة الغربية من بنيوية وتحليل خطاب وإبستيمولوجيا، مستعيناً بمفاهيم فوكو وألتوسير وباشلار، ليعيد قراءة التراث العربي الاسلامي قراءةً نقديةً تنشد التحرر من هيمنة الماضي على الحاضر، وتسعى هذه الدراسة إلى تقديم توصيف شامل للخطاب العربي كما رصده الجابري، ونقد مضامينه ومنطلقاته، مع تحديد مصطلحاته الاساسية، وتحليل آليات اشتغاله، والانتهاء بنتائج تُسهم في فهم أعمق لأزمة الفكر العربي الراهن، وتنتهج الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً يجمع بين التحليل النصي والمقاربة الابستيمولوجية، معتمدةً على المصادر الاولية لأعمال الجابري والدراسات النقدية الموجهة إليه، وما نتج عنه من مشروعه وهمومه حول نقد وتحليل خطاب العربي المعاصر ووايجاد سبيل نحو صعود التحديات وحل أزمة التفكير وتصور الواقع.

المبحث الأول : دلالة المصطلحات والمفاهيم الواردة في الدراسة (الاطار النظري للبحث)

ندخل في هذا المدخل في دلالة أهم المفاهيم و المصطلحات الواردة في هذا البحث ونتمسك بمنهج الخلاصة أو الاختصار.

أولاً :ابستمولوجيا: Epistemology "

لفظ ابستمولوجيا مكون من لفظين: أحدهما ابيستما (Episteme) وهو العلم، والاخر لوغوس: Logos وهو النظرية أو الدراسة، الابستمولوجيا اذن هو نظرية العلوم، أو فلسفة العلوم، يراد منه دراسة مبادىء العلوم، وفرضياتها، ونتائجها، دراسة انتقادية توصل إلى ابراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية.

فالابستمولوجيا تختلف اذن عن دراسة طرق العلوم من جهة، وعن دراسة تركيب القوانين العلمية من جهة ثانية، لأنّ الدراسة الاولى قسم من المنطق التطبيقي، والاخرى قسم من الفلسفة الوضعية، أو فلسفة التطور، الابستمولوجيا في الانكليزية مرادف لنظرية المعرفة Theorie la) de Connaissance، أما في اللغة الفرنسية، فهو مختلف عنه، لأن معظم الفلاسفة الفرنسيين لا يطلقونه الا على فلسفة العلوم، وفي بعض القواميس يفرق بينهما وإن كانت الاولى مدخلا ضروريا للثانية، ذلك لأن الابستمولوجيا لا تبحث في المعرفة من جهة ما هي مبنية على وحدة الفكر، كما في نظرية المعرفة، بل تبحث فيها من جهة ما هي معرفة بعديّة مفصلة على أبعاد العلوم، وأبعاد موضوعاتها [٢].

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 9
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

ويميل الجابري إلى أن الابستمولوجيا هي "علم المعرفة"، وبما أن المعرفة هي علاقة بين الذات العارفة والموضوع الذي يراد معرفته، فإن الابستمولوجيا هي العلم الذي يهتم بدراسة هذه العلاقة التي هي بمثابة جسر يصل الذات بالموضوع، والموضوع بالذات، بل جسر يخلق الذات من خلال انفعالها بالموضوع ويخلق الموضوع من خلال فعل الذات فيه، إن هذا التأثير المتبادل بين الذات والموضوع يجعل العلاقة بينهما (وبالتالي المعرفة) عبارة عن عملية تاريخية متسلسلة، تتطور وتنمو بتطور ونمو وعي الانسان من خلال نشاطاته المختلفة [٣].

ثانياً :الخطاب في اللغة والاصطلاحا:

١-الخطاب في اللغة:

مصطلح 'الخطاب 'في اللغة العربية يرجع إلى مادة (خ.ط.ب)، ومن معانيها المراجعة في الكلام والمحاورة والكلام الذي يقصد به إفهام المخاطب، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور : 'الخِطاب والمُخاطَبة :مراجعة الكلام، وقد خاطبه يخاطبه خطاباً، ويتضمن المصطلح إذن ثلاث عناصر أساسية : المتكلم، والمُخاطَب، والكلام بينهما.[٤] "إذًا، فالخِطابُ في أدنى تعريفاتِهِ هو الكلامُ الموجَّهُ من متكلمٍ..."وماهية الخطاب في جوهرها هي تبادل الكلام بين مرسل ومستقبل في سياق تواصلي، ولا يُعدّ مجرد إلقاء للفظ بل يشترط فيه قصد الافهام لمن هو أهل له، ويتنوع أسلوبه بين المباشر وغير المباشر لإيضاح قضية معينة وتوصيل المعنى بدقة .وتتركز غايته النهائية في دائرة الاقناع والاقتناع، مما يمنحه دلالات واسعة تتجاوز مجرد النطق بالكلمات .وقد عُرّف لغوياً وأصولياً كأداة جوهرية للتفاهم الانساني وتوضيح المقاصد [٥].

٢-الخطاب في الاصطلاح:

أما في الاستخدام الاصطلاحي الحديث، فقد شهد مفهوم الخطاب تحولات جوهرية في ضوء التطور الذي عرفته اللسانيات والفلسفة وعلم الاجتماع خلال القرن العشرين، فبعد أن كان يُفهم على نحو بسيط بوصفه 'كلاماً مترابطاً'، أصبح يُحيل إلى منظومة معقدة من العلاقات بين اللغة والسلطة والمعرفة والذات، وقد تعددت مفاهيمه في الاصطلاح، فهو محادثة ذات طبيعة رسمية، أو المصطلح الرسمي المنظم للأفكار سواء أكان مكتوباً أو مسموعاً، ويُستخدم في شكل خطبة دينية أو بحث علمي أو تحليل سياسي أو خطاب أيديولوجي، فلا يمكن لأي محادثة أن تكون رسمية الا إذا كان لها مناسبة أو ظرف أو حدث يساهم فيها، [٦] يُميّز الجابري الخطاب بين ثلاث مستويات متفاوتة: المستوى النصي (البنية اللغوية والتركيبية للملفوظات)، والمستوى الابستيمولوجي (الانظمة المعرفية التي تحكم الانتاج الخطابي)، والمستوى الايديولوجي (الوظائف

السياسة والاجتماعية للخطاب) ويرى أن التحليل الحق للخطاب يشترط الامساك بهذه المستويات الثلاثة في آنٍ واحد دون التفرد بوحد منها [٧].

ثانياً :الخطاب في التراث النقدي الغربي:

على المستوى الغربي، يرتبط مفهوم الخطاب ارتباطاً وثيقاً بنظريات متعددة ومتنافسة .ففي إطار البنيوية اللسانية، يعود الفضل إلى ريديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ – ١٩١٣) في وضع أسس دراسة اللغة بوصفها نظاماً من الدوال والمدلولات، وقد مهّد ذلك لدراسة الخطاب بوصفه بنية لغوية متماسكة .فاللغة عند سوسير ليست مجرد أداة للتواصل بل هي نظام من العلاقات الداخلية التي تُنتج المعنى وتُوزّعه [٨].

غير أن التحول الاعمق في مفهوم الخطاب جاء على يد الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault (1926–1984) حيث ربط الخطاب بالسلطة والمعرفة ربطاً جدلياً . فالخطاب عند فوكو ليس مجرد أقوال ومعطيات لغوية، بل هو ممارسات تُشكّل الاشياء التي تتكلم عنها، وهو يُنتج المعرفة ويُنظمها ويضبطها وفق آليات قوة معينة .وقد وظّف الجابري هذا الفهم الفوكوي في تحليله للتراث العربي الاسلامي [٩].

يقول ميشيل فوكو: الخطاب ليس مجرد مجموعة من العلامات الدالة على أشياء، بل هو ممارسات تُشكّل بصورة منهجية الاشياء التي تتحدث عنها)) [١٠].

وقد أسهم لويس ألتوسير Louis Althusser (1918 – 1990) من جهته في إثراء نظرية الخطاب الايديولوجي، إذ رأى أن الايديولوجيا لا تُمارَس عبر الافكار المجردة فحسب، بل عبر ما أسماه 'الاجهزة الايديولوجية للدولة'، وهي مؤسسات كالمدرسة والكنيسة والاعلام تُعيد إنتاج علاقات السيطرة وتُرسّخها في اللاوعي الاجتماعي .وقد استفاد الجابري من هذا التحليل في فهم الكيفية التي يُعيد فيها الخطاب العربي إنتاج بنى السلطة التقليدية [١١] .

الخطاب العربي الحديث هو عبارة عن منظومة من الاقوال والافكار التي أنتجها المفكرون العرب في مواجهة تحديات النهضة والهوية والتخلف، متأرجحاً بين الاصالة والمعاصرة، فالخطاب العربي الحديث والمعاصر بعبارة أستاذ (مدني صالح) يفصل يوسف على قد القميص، وليس القميص على قد يوسف لذلك يبقي الفكر العربي خاضعاً لسلطة "الانموذج" أو "السلف" أو "الاصل"، [١٢] إذن ما قام به الجابري هو محاولة للتخلص من هذه القراءات الخاضعة لآلية قياس الغائب على الشاهد – بحسب تعبيره ذلك القياس السائد في النحو، حاول الجابري أن يؤسس له منهجية مختلفة عن باقي المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين، وذلك من خلال سعيه لنقد الخطاب العربي الحديث والمعاصر بوصفه خطاباً لا تاريخياً ولا موضوعياً، وكونه

يعتمد في بناء الافكار على "منهج مطبق ، ولم يكن محاولة لتطبيق منهج، بمعنى آخر وقد اتّسم هذا الخطاب بهيمنة البُعد الانفعالي والايديولوجي على حساب العقلانية النقدية، مما جعله يدور في حلقة مفرغة عاجزة عن إنتاج مشروع نهضوي حقيقي وفاعل [١٣].

ثالثاً :تعريف الخطاب عند الجابري:

الخطاب عند الجابري ليس له وجه أو مستوى واحد بل لها ثلاث مستويات مترابطة ومتكاملة: المستوى النصي، وهو البنية اللغوية والتركيبية للملفوظات الظاهري أو السطحي؛ والمستوى الابستيمولوجي، وهو الانظمة المعرفية التي تحكم الانتاج الخطابي؛ والمستوى الايديولوجي، وهو الوظائف السياسة والاجتماعية للخطاب ويرى أن التحليل للخطاب لا بد أن ينطلق من المستويات الثلاث وأجزاء مترابطة تكمل الصورة الكلية [١٤].

ويُعرّف الجابري الخطاب بأنه 'إنتاج دلالي يتضمن رؤية معينة للعالم، ويشتغل وفق آليات معرفية محددة تُفرزها البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع المنتِج له، وينبني هذا التعريف على ثلاث عناصر جوهرية :**أولها** البُعد الانتاجي الذي يُشير إلى أن الخطاب ليس معطىً جاهزاً بل فعل تنتجه الذوات في سياقات تاريخية متحولة، **وثانيها** البُعد الدلالي الذي يُنبّه إلى أن كل خطاب ينطوي على نظام من المعاني تتشابك فيه الرموز والمفاهيم؛ **وثالثها** البُعد المعرفي الذي يُبرز أن الخطاب يخضع للاوعي المعرفي أو ما يُسميه الجابري بـ'نظام المعرفة' [١٥].

رابعا: مفهوم التراث:

التراث هو الهوية الثقافية للشعوب والمجتمعات، ويكمن فيما خلّفه السلف للخلف جيلاً بعد جيل، من الموروث الديني والثقافي والعلمي والادبي والفني والفكري، والحضاري، وهو جريان روح تنبعث من التاريخ، ومعالم يأخذها الخلف يسهل بها الصعاب ويتخطى العوائق.

وفي الفقه الاسلامي واللغة له وضع خاص بالمال والتركة التي يتركها الميت، وله في كتب الفقه بابٌ خاص يُعرف بكتاب الفرائض، ويرى الجابري أننا لا نكاد نجد استعمال لفظ التراث بهذا المعنى قديماً.

وذكر الجابري ثلاث طرائق رئيسية في التعامل مع التراث العربي الاسلامي، وهي تنعكس ثلاث صور منهجية، وهي: القراءة السلفية، والقراءة الليبرالية، والقراءة اليسارية/الماركسية [١٦].

خامسا: دلالة الحداثة:

حدَثَ يَحْدُثُ من مصدرَي حُدوثٍ وحَداثةٍ، أهم معانيه في اللغة هو الجديد، وهو ضد القديم، والكلام والخبر، والحداثة أول الامر وابتداؤه ، وهي الشباب وأول العمر ، قال ابن المنظور:

«الحَدِيثُ: نقيضُ الْقَدِيمِ. والحُدُوث: نقيضُ القُدْمةِ. حَدَثَ الشيءُ يَحْدُثُ حُدُوثاً وحَداثةً، وأَحْدَثه هُوَ، فَهُوَ مُحْدَثٌ وحَديث، وَكَذَلِكَ اسْتَحدثه. وأَخذني مِنْ ذَلِكَ مَا قَدُمَ وحَدُث»[١٧].

فالحداثة هي خلق بنية جديدة في ميادين المختلفة في الحياة، في أعقاب ثلاث حوادث ظهرث الحداثة وبلورت سيرها: الاكتشافات الجغرافية ، وحركة الاصلاح الديني المسيحي التي قلصت النفوذ المادي للكنيسة من خلال مصادرة الممتلكات الكنسية، والثورة الصناعية .

فالحداثة عند الجابري ترتبط بالعقلانية ويقول((الحداثة رسالة ونزوع من أجل التحديث، تحديث ذهنية، تحديث المعايير العقلية والوجدانية)) [١٨] وينتقد بعض مدعي الحداثة الداعين إلى الحرية الفردية، ويرفضون العقلانية بدعوى أنها تفرض النظام وتقيد الحرية ويصفهم بالمقلدين أو الغافلين وهم مقلدون لبعض فروع تيار الحداثة الغربية وغافلون عن الفارق هائل بين وضعيتنا ووضعية الغرب.

المبحث الثاني : العقل العربي وآليات إنتاج المعرفة في الخطاب العربي العام.

أولاً : مفهوم العقل العربي عند الجابري:

لقد كان الفلاسفة من قبل ينظرون إلى العقل كمحتوى ووعاء للمعلومات (قوانين العقل عند أرسطو، الافكار الفطرية عند ديكارت ، صورتا الزمان والمكان والمقولات عند كانط) ، أما الان فلقد أدى تطور العلم وتقدمه إلى قيام نظرية جديدة في العقل قوامها النظر اليه بوصفه ليس اداة أو فاعلية لا غير ، بل العقل في التصور العلمي المعاصر له مجموعة من المبادئ : القدرة على القيام باجراءات حسب مبادىء، إنه أساساً ، نشاط منظم ، لنقل: إنه لعبٌ حسب قواعد، ومن هنا ينطلق الجابري في بناء مفهوم 'العقل العربي 'من تساؤل جوهري :هل ثمة عقل خاص بالعرب يتمايز عن سائر الشعوب، أم أن العقل ملكة إنسانية مشتركة؟ وقد توخّى الجابري تفادي الاشكاليات الميتافيزيقية في هذه المسألة باستعمال مصطلح 'الفكر 'بديلاً من العقل، إذ يرى أن الفكر بوصفه أداةً لإنتاج الافكار يتأثر حتماً بالمحيط الاجتماعي والثقافي لكل جماعة وعليه فإن ما يُسميه العقل العربي لا يُشير إلى خاصية بيولوجية أو عرقية، بل إلى الانساق المعرفية والقيمية التي تتشكل من خلالها الرؤى وتُنتج الافكار في الفضاء الثقافي العربي [١٩].

العقل الهيولاتي: وهو الاستعداد المحصن لإدراك المعقولات ونسب إلى الهيولي لان النفس في هذه المرتب تشبه الهيولة الاولى الخيالي في ذاتها من الصورة كلها والعقل الهيولي ما ردف للعقل بالقوة وهو الذي يشبه الصفحة البيضاء التي ينقش شيء بالفعل.

العقل بالملكة: وهو العلم بالضرورة واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات.

العقل بالفعل: هو ان تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد لكنها لا تشاهدها بالفعل والمعاني الثلاث للعقل انه القوة الاصابة في الحكم بمعني انه يميز الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبح.(٢٠)

رغم أن العقل ينور طريق الحياة إلى أنه ليس بوسعه منفردا كشف الحقيقة، بل الوحي يعينه، العقائد الايمانية مطابقة لأحكام العقل على الارجح، في رسم تلك المسار نجد ثلاث أوجه:

الاول: القول ان العقل شرط ضروري لمعرفة الحقائق الدينية.

ثانيا: هو الاعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن اثباتها بال**مبادىء** العقلية.

ثالثا: هو الدفاع عن العقائد الايمانية بعد فرضها من الشرع من حيث ان يستدل عليه بالادلة العقلية.

بمعني ان العقلانية هي التي تعد العقل هو المصدر الرئيسي للمعرفة وهو الذي يقوم بالكشف عن الحقائق والذي يكون فيها معيار الحقيقة والاستدلال وهو المصدر المنطقي الذي تقوم عليه .(٢١)

يعترف الجابري في بداية مشروعه الفكري، الذي أخذت ملامحه الاولى تتضح من خلال كتابه الخطاب العربي المعاصر سنة ١٩٨٢ ، بأن معالجة الفكر العربي المعاصر تكون بدراسته من خلال آليات المنتجة لذلك الخطاب، ويكون هذا كخطوة تمهيدية لفهم الخطاب الذي يصدر عنه، بغرض تشخيص لنقد العقل العربي وهي خطوة ضرورية، إذ يقول في هذا الصدد" : إن غياب نقد العقل في المشروع الذي بشربه رجال الجيل السابق، قد جعله يبقى مشدودا إلى ما قبل)...(كما أن غياب نفس النقد في مشروع الثورة أوالنهضة، الذي نحلم به نحن اليوم قد جعله يبقى على الرغم من كل الالفاظ والعبارات الجديدة التي نتحدث بها عنه، امتدادا لنفس المشروع السابق، مشروع النهضة التي لم تتحقق بعد "(٢٢).

ان ترجمة كلمة "عقل" ، بعبارة : بوصفه أداة للتفكير، وربط عروبة هذا العقل بالثقافة التي ينتمي إليها – أي الثقافة العربية الاسلامية – يمثلان خطوة أولى نحو تحديد مفهوم : العقل العربي ، كما تستعمله هنا ، هي خطوة أولى لا لأنها تجيب عن الاسئلة الجانبية التي سبقت إثارتها في مستهل هذا الفصل ، بل لأنها تطرح اسئلة بديلة أكثر التصاقاً بالموضوع وأكثر تعبيراً عن تعقيداته، ان بوسعنا الان أن نتساءل : إذا كنا نعني بـ «العقل: الفكر بوصفه أداة وليس بوصفه محتوى، فهل معنى ذلك أن العقل، خال من كل محتوى ؟ بل هل الفكر بهذا المعنى ، أي بوصفه أداة لا غير خال هو نفسه من كل محتوى ؟ أو ليست الاداة – أي أداة – عبارة عن (

شيء ، مركب ، ولا بد ؟ أو ليست كل أداة ، مهما صغرت ، عبارة عن جهاز او بنية ؟ ثم الا يمكن التمييز في كل أداة ، أو جهاز بين الفاعلية وما منه قوام هذه الفاعلية ؟ ان الاداة التي نحفر الارض بها – الفأس مثلا – تستمد هويتها ، ولنقل ماهيتها ، من فاعليتها : الحفر، ولكنها تستمد قدرتها على الحفر من اجزائها وطريقة تركيبها وأيضاً من اسلوب استعمالها [٢٣].

ولا يقصد الجابري بـ'العقل العربي 'ملكةً عقليةً فطريةً خاصة بأصحاب اللسان العربي، بل يعني به المرجعية المعرفية والنظام الابستيمولوجي الضمني الذي يتشكل من خلاله الفكر في اللغة العربية، وهو ما يُعبّر عنه أيضاً بـ'اللاوعي المعرفي للثقافة العربية، فالعقل العربي بوصفه أداةً لإنتاج التفكير يرتبط بثقافة معينة لها خصوصيتها، هي الثقافة العربية الاسلامية، مع ما تحمله من عادات وتقاليد ومعتقدات دينية وأخلاقية وسياسية تُرسّخ في فكر الفرد منذ الصغر، وقد تمثّل هذا العقل في جملة من ال**مبادىء** والمفاهيم والاليات التي تنظّم طريقة التفكير وتُشكّل رؤية الانسان للعالم من حوله [٢٤].

ثانياً :السياق التاريخي لمشروع الجابري:

نشأ مشروع الجابري النقدي في سياق سياسي وفكري بالغ الحساسية؛ إذ جاء في أعقاب هزيمة 1967التي أحدثت زلزالا في البنية النفسية والثقافية للأمة العربية، ودفعت المثقفين إلى مراجعة عميقة للذات، وقد تزامن ظهور أولى أعماله مع موجة صعود الحركات الاسلامية من جهة، والتحولات الليبرالية الاقتصادية من جهة أخرى، مما جعل الساحة الفكرية مشحونةً بتوترات أيديولوجية حادة [٢٥].

وكان الجابري يُدرّس في جامعة محمد الخامس بالرباط، ويكتب في مرحلة شهدت احتداماً في الجدل بين ثلاث تيارات رئيسية :الاسلاميين، والليبراليين، والماركسيين .وقد رأى في كل هذه التيارات قصوراً إبستيمولوجياً نابعاً من عجزها عن تفكيك البنية اللاعقلانية التي تتحكم في خطابها، وعليه كان مشروع الجابري موجهاً بالاساس نحو نقد آليات التفكير ذاتها لا نقد مضامين الافكار فحسب، ممّا منحه طابعاً منهجياً يتجاوز الجدال الايديولوجي المعهود.

وتكمن أهمية مشروع الجابري في كونه أول محاولة عربية منهجية شاملة لتطبيق مناهج الابستيمولوجيا المعاصرة على التراث العربي الاسلامي، فقد أتاح مشروعه جملةً من الاضافات المعرفية الاساسية :**أولاً**: تجاوز ثنائية القديم والحديث إلى تحليل البنية المعرفية الضمنية التي تتحكم في كليهما .وثانياً: توليف نادر بين الفلسفة الغربية المعاصرة وتراث الفلسفة الاسلامية، أنتج رؤيةً نقديةً غير مسبوقة .وثالثاً: تسليط الضوء على دور اللغة والخطاب في إعادة إنتاج الايديولوجيا وتكريس علاقات السلطة [٢٦].

ثالثاً :ماهية الخطاب العربي الحديث والمعاصر:

الخطاب هو تبادل الكلام بين مرسل ومستقبل في سياق تواصلي، ولا يُعدّ مجرد إلقاء للفظ بل يشترط فيه قصد الافهام لمن هو أهل له، ويتنوع أسلوبه بين المباشر وغير المباشر (الكناية) لإيضاح قضية معينة وتوصيل المعنى بدقة، وتتركز غايته النهائية في دائرة الاقناع والاقتناع، مما يمنحه دلالات واسعة تتجاوز مجرد النطق بالكلمات، وقد عُرّف لغوياً وأصولياً كأداة جوهرية للتفاهم الانساني وتوضيح المقاصد [٢٧] .

يُصنّف الجابري الخطاب العربي المعاصر إلى أنواع أربعة رئيسية :**الخطاب النهضوي، والخطاب السياسي، والخطاب القومي، والخطاب الفلسفي**، ويرى أن الخطاب الفلسفي العربي ينقسم بدوره إلى خطابين متمايزين :خطاب من أجل فلسفة الماضي يسعى إلى تأصيل الفلسفة العربية الاسلامية وإيجاد مكانة لها في تاريخ الفكر الانساني، وخطاب من أجل فلسفة المستقبل يحاول بناء تركيب فلسفي عربي معاصر يواكب متطلبات العصر [٢٨].

ويرى الجابري أن الخطاب الفلسفي في الفكر العربي الحديث والمعاصر لم يستطع تشييد إيديولوجية نظرية يُركن إليها على صعيد الحلم، ولا بناء نظرية ثورية يُسترشد بها على صعيد الممارسة والتغيير، وقد تحوّل هذا الحلم بحسب تحليله إلى كابوس بعد هزيمة العرب في حرب 1967، بحيث طغى الجانب النظري المُفرَّغ من المحتوى الواقعي على الخطاب، فأصبح خطاباً مُضلِّلاً تقوم فيه آمال التغيير وتغيب أدواتها العملية [٢٩].

واضح أن نظام الخطاب بهذا المعنى هو غير نظام العقل : نظام الخطاب هو ما يوجب الفاعلية والمفعولية على صعيد الكلام، أما نظام العقل فهو ما يوجب الفاعلية والمفعولية على صعيد الاشياء، أشياء العالم الفكري والحسي، هذا الاهتمام بنظام الخطاب على حساب نظام العقل قد ترتب عنه جملة أمور منها : الانشغال والاهتمام بتجنب التنافر بين الكلمات على حساب الاهتمام بتجنب التناقض بين الافكار، إن التناقض على صعيد الفكر لا ينظر إليه في هذه الحالة كـ تناقض، بل كطريقة من طرق صياغات المعاني، أو سبيل من سبل إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، أو كمظهر من مظاهر الاعجاز البلاغي، وفي جميع الاحوال فالتناقض على صعيد المعاني يجد دوماً حله في إعادة ترتيب العلاقات داخل نظام الخطاب، وذلك هو التأويل»[٣٠].

ويُلاحظ الجابري أن رواد النهضة العربية الذين دعوا إلى نقد هذا الخطاب قد تجاهلوا نقد العقل المُنتِج للخطاب ذاته، مما أفضى إلى استمرار الازمة، وعليه كان مشروع الجابري مزدوج الهدف: **نقد الخطاب** أولاً، **ثم الصعود إلى نقد العقل العربي** المُنتِج لهذا الخطاب، ويرى أن الخطاب

العربي العام يُميّز بين ثلاث سمات بنيوية راسخة :هيمنة **البياني** و**الاسلوب الخطابي** على حساب **البرهان المنطقي**؛ و**التقطيع والانتزاع من السياق التاريخي**؛ والخلط بين مستويات القول: **السرد** و**الاستدلال والانشاء**، مما يُفضي إلى ضبابية دلالية تُعيق الفهم وتُربّي الانفعال.

رابعاً :الانظمة المعرفية الثلاثة وأثرها في الخطاب:

يرى الجابري أن الثقافة العربية الاسلامية تجاورت فيها ثلاث أنظمة معرفية كبرى، وأن هذا التجاور الذي كان في الحضارة الكلاسيكية إبداعياً في حالات كثيرة، قد تحوّل في المرحلة المتأخرة إلى تنافر وصراع غير منتج.

النظام البياني: ينطلق الجابري في حديثه عن النظام المعرفي البياني، بضبطه لمصطلح البيان، إذ يرى أن" البيان في اصطلاح رواد الدراسات البيانية اسم جامع لكل ما به تتحقق عملية الافهام أو التبليغ، بل أيضا لكل ما به تتم عملية الفهم والتلقي ، وعلى هذا فالبيان يفيد الظهور والاظهار، ويُهيمن على الخطاب الديني واللغوي والادبي، ويجعل النص المقدس مرجعاً نهائياً لا يقبل المساءلة، ويُؤسس للمنطق القياس على الاصل والمماثلة، وقد ظل هذا النظام مرجعيةً أساسيةً لفهم العقيدة والشريعة، مما جعل اللغة أداةً للسلطة قبل أن تكون أداةً للتواصل(٣١).

النظام العرفاني : ويدعوه الجابري(باللامعقول العقلي)الذي يشكل أحد روافد الموروث القديم، ويرى أنه تكرس عن طريق الهرمسية والمانوية وغيرها من المعتقدات القديمة، ولقد عبر هذا النظام عن نفسه بالكيمياء والتصوف ، هو مسك الثقافة العربية الاسلامية" وهكذا فالعرفان نظام معرفي ومنهج في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم، وأيضا : ويرى الجابري أنه انتقل إلى الثقافة العربية الاسلامية، من الثقافات التي كانت سائدة قبل الاسلام في الشرق الادنى، وبكيفية خاصة في مصر وسورية وفلسطين والعراق "، ويغلب التشابه السطحي في العرفان في الاديان ويتغاضى خصوصية العرفان الاسلامي، ويسير إلى أبعد من ذلك، و يرى الجابري أن العرفان ظاهرة عرفتها الاديان السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والاسلام،كما عرفتها الديانات الوثنية كالمانوية،..الخ.

وأيضا الظاهرة العرفانية عنده لها جانبان، العرفان **كموقف**، والعرفان **كنظرية لتفسير** الكون والانسان، وإن كانا يبدوان متمايزين، إل أنهما في الحقيقة متلازمان متكاملان، لأن العرفان كموقف تتويجا للعرفان كنظرية، والعرفان كنظرية تأسيسا للعرفان كموقف.

ويميزالجابرى بين ثلاث اتجاهات كبرى شهدها تاريخ تطور الظاهرة العرفانية، **الاتجاه الذي يغلب عليه الموقف العرفاني كمعاناة**، ويمثله في المجتمع الاسلامي المتصوفة أصحاب الاحوال والشطح خاصة، **وهناك الاتجاه الذي يغلب عليه الطابع الفلسفي**، ويمثله في الاسلام التصوف

العقلي الذي نجده عند الفارابي في نظريته في السعادة وبصورة أوضح وأوسع عند ابن سينا في فلسفته المشرقية، **أما الاتجاه الثالث فيغلب فيه السردالاسطوري**، ونجده لدى الفلاسفة الاسماعيليين والمتصوفة الباطنيين وفي ضوء مسلك هذه الاتجاهات الثلاثة هي وحدها دون غيرها، يرى العرفان كما يقول هذا ما نقصده بالعرفان(٣٢).

النظام البرهاني : ويسميه الجابري(بالمعقول العقلي)يتجلى على وجه التحديد في المنطق والفلسفة والرياضيات والطبيعيات، ويقوم هذا النظام على الملاحظة التجريبية والاستنتاج العقلي كمنهج، يقول عنه" :إذا أردنا أن نحدد هذا النظام– داخل الثقافة العربية الاسلامية :وهو النظام الذي ضعف تدريجياً في الثقافة العربية وظل حبيس النخب الفلسفية، ويُعلي من شأن المنطق الارسطي والاستدلال العقلي المنهجي .

ويرى الجابري أن استعادة هذا النظام وتطويره هو الطريق الوحيد نحو نهضة عربية حقيقية قادرة على مواكبة العصر وتخطي الصعوبات وحل الازمات ، تكون يقظة من السبات وعمرانا للأرض (٣٣).

خامساً :الخطاب العربي والازمة الهوية:

يرى الجابري أن أحد أبرز خصائص الخطاب العربي المعاصر هو احتلال مسألة الهوية والانتماء الصدارة في حساباته، وقد أفرز ذلك خطاباً أيديولوجياً دفاعياً يغلب عليه الطابع الانفعالي لا التحليل، فالخطاب القومي العربي اضطر إلى تعريف الذات في مواجهة الاخر الاستعماري، والخطاب الديني يُعرّف الاسلام في مواجهة الحداثة الغربية، وكلا الخطابين يُوظّف التراث انتقائياً بما يخدم أغراضه الانية (٣٤) .

ويُشير الجابري إلى ما يُسميه 'المراوحة المُفزعة 'في الخطاب العربي، إذ يتأرجح بين نقيضين : التمسك بأصالة الموروث والعودة إلى الجذر من ناحية، والانبهار بالحداثة الغربية ومحاولة استيراد نماذجها جاهزةً من ناحية أخرى .وكلا النقيضين يُعبّران في نهاية المطاف عن عجز الخطاب عن التأسيس لمشروع نقدي ذاتي مستقل، ولذلك يكرر الجابري القول بإعادة كتابة تاريخ الثقافة بصورة عقلانية وبروح نقدية، لأنه من خلال ممارسة العقلانية النقدية في التراث تُكتسب عقلانية أصيلة وجديدة تستطيع حمل المبادىء وأسس العلم المعاصر (٣٥)، ولذلك يكرر القول بإعادة تاريخ الثقافة بصورة عقلانية وبروح نقدية لأنه من خلال ممارسة العقلانية النقدية في تراثنا تكتسب عقلانية أصيلة وجديدة التي تستطيع حمل ال**مبادىء** وأسس العلم المعاصر وبطبيعة الحال فالتعامل النقدي العقلاني مع تراثنا يتوقف على مدى ما نوظفه بنجاح من المفاهيم والمناهج العلمية المعاصرة ولذلك ذهب إلى ضرورة حل المشكلات المتعلقة بنشر الثقافة

العلمية والفلسفية وتكريس أساليب البحث العلمي ومناهجه نظريا وممارسة في الساحة الثقافية الراهنة وإنه شرط ضروري لتدشين عصر التدوين من جديد ويؤسس المستقبل بما يستحسن المتطلباته ويفي بحاجاته [٣٦].

المبحث الثالث: نقد الجابري لبنية الخطاب العربي المعاصر ومرجعياته المعرفية:

يهتم هذا المبحث بأبرز القضايا التي انتقدها الجابري في الخطاب العربي المعاصر، وهي القضايا التي عالجتها الخطابات النهضوية المتعاقبة دون أن تُحقق أي تقدم ملموس، إذ يرى الجابري أن هذه الخطابات ظلت تدور في حلقة مفرغة عاجزة عن إنتاج مشروع نهضوي فعلي، لأنها اهتمت بنقد مضامين الافكار دون نقد آليات الانتاج الفكري ذاتها، وقد اعتمد الجابري في تحليله على أسلوب التفكيك وإعادة البناء، تفادياً للتركيب الايديولوجي المتعجل، في مقاربته للخطابات الثلاثة الكبرى :السلفي والوجودي والسياسي.

أولاً :نقد الخطاب السلفي:

يتناول الجابري نقد الخطاب السلفي باعتباره خطاباً مأزوماً يعاني من الانفصام بين الفكر والواقع؛ حيث يرى أن السلفية المعاصرة لم تنجح في طرح قضايا الواقع الملموس، بل استعارت إشكالياتها من الماضي أو من النماذج الاوروبية، ويركز الجابري على أن الصراع الايديولوجي في الساحة العربية —سلفي وليبرالي وماركسي —هو في جوهره صراع حول 'سلطات مرجعية' متضاربة، وليس اختلافاً حقيقياً في تأويل الواقع الراهن، كما يُشير الجابري إلى الهيمنة البالغة للغة وعلم الكلام والفقه في تكوين العقل السلفي منذ عصر التدوين، مما جعل اللغة هي المرجعية الاساسية لفهم العقيدة والشريعة، وينتقد الجابري المنهج الابستمولوجي للسلفية القائم على 'قياس الغائب على الشاهد'، وهو منهج يفتقر للموضوعية التاريخية ويغيب عنه الربط العضوي بالتحولات المعاصرة، وقد أفضى هذا المنهج إلى تحنيط الحلول وتكرار الاسئلة ذاتها عبر الاجيال دون تجديد حقيقي.

ويركز الجابري بصفة أكثر على المنطلقات و المفاهيم الموظفة داخل الخطاب النهضوي بتياريه الرئيسيين (السلفي، الليبرالي) كونهما اتسما بمواقف و طروحات بديلة لتجربة النهضة الغربية عموما و لمواجهتهما للوضع العربي بكل ما يحمل خصوصا، مما جعلنا في هذه المحاولة نبرز إشكالية الثنائية (الانا/الاخر) و التي ترددت في الخطابين، مركزين على الخطاب الليبرالي الحامل لمشروع العقلنة، التقدم.. و إذن الكيفية التي تصورها بعض الرواد و نظروا لها من خلال محاولاتهم في إبراز الشروط الضرورية لتجاوز الانحطاط [٣٧].

وخلص الجابري إلى أن الخلاص يكمن في تجاوز القراءات التقليدية وبناء رؤية معرفية جديدة تُحدّث العقل العربي، وتجعل الخطاب التراثي منسجماً مع المحيط المعاصر، بعيداً عن قيود التقليد والتبعية للماضي، ويدعو الجابري إلى ممارسة العقلانية النقدية في التعامل مع التراث؛ فمن خلال هذه الممارسة تُكتسب عقلانية أصيلة وجديدة تستطيع حمل ال**مبادىء** وأسس العلم المعاصر، وذلك شرط ضروري لتدشين عصر تدوين جديد يُؤسّس المستقبل بما يلبّي متطلباته [٣٨].

وقدم محمد عابد الجابري عدة انتقادات حول الخطاب السلفي الذي اهتم بالعقل العربي من حيث الموروث القديم والثقافة الاسلامية وهذا هو المشكل الذي يعاني منه الفكر العربي المعاصر، إذ تتعدد فيه المرجعيات في الثقافة التراثية بين المرجعيات الفكرية وتتمثل في مرجعية الفكر الشيعي والفكر السني وكما نجد ان السلفية اخذت منهجها للتعامل مع التراث اتجاهًا فكريًا يأخذ مكانه القوى المحافظة على ساحة الفكر الاسلامي ويمثل خطوطا منهجية ترسم سلف الامة الصالحة[٣٩].

ثانياً :نقد الخطاب الوجودي:

وتؤكد المسألةُ، من منظور جدلي، العلاقةَ بين الفكر والواقع في إطارها الاجتماعي والثقافي بكل ما تزخر به من ترابط وتعقيد، ومن هنا يري ان الفلسفات الوجودية الاوروبية جاءت لتعلن فشل الفلسفة المثالية خاصة في المانيا لحل مشاكل الفكر الاوربي وتحقيق طموحاته من جهة أخرى ولقد طرحت جوانب إيجابية تتمثل في أسبقية الوجود على الماهية والتأكيد على قضايا الانسان الاساسي كالحرية وغيرها[٤٠].

ويرى الجابري أن الفلسفة الوجودية في أوروبا كانت تعبيراً أصيلاً عن أزمات الواقع الغربي وتناقضاته الرأسمالية بعد الحروب العالمية، الا أن استعارتها في الفكر العربي جاءت نتيجة 'خيبة الامل 'وضغط الاستعمار، مما أدى إلى قراءة سطحية تربط الفكر بالواقع ربطاً ميكانيكياً، وينتقد الجابري الوجودية العربية لتركيزها على الجوانب اللاعقلانية والذاتية المفرطة، بدلاً من استثمار مفاهيم الحرية والالتزام التي كانت تفرضها ضرورات النهضة والتحرر الوطني[٤١] .

كما يُشير الجابري إلى أن رائد الوجودية العربية عبد الرحمن بدوي كرّس فردانية مطلقة حاولت تأسيس الوجود على أنقاض العلم، بربطها بنماذج لاعقلانية من التراث كالتصوف وبعض آراء الغزالي، ويعتبر الجابري أن هذا التوجه لم يخدم قضية النهضة، بل أدى إلى نوع من 'الاغتراب الفكري 'لغياب التناسق بين الاطروحات الوجودية المفرطة والاطار الفكري النهضوي الذي تستدعيه الحاجة التاريخية (٤٢).

وخلص الجابري إلى أن الوجودية العربية ظلت حبيسة التقليد لتيارات الغموض الغربي، وفشلت في تقديم مشروع عقلاني لتحول الوطن العربي من حالة التخلف إلى الازدهار، مما جعلها خطاباً 'مستعاراً 'يفتقر للأصالة والموضوعية التاريخية في معالجة القضايا المصيرية، وهذا ما دفع الجابري إلى المطالبة بخطاب فلسفي يُجسّد الروح النقدية المتجذّرة في الواقع العربي، بعيداً عن الانبهار بالنماذج الغربية الجاهزة.

ثالثاً :نقد الخطاب السياسي.

يرى الجابري أن الخطاب السياسي العربي الحديث والمعاصر بدأ مع بداية النهضة العربية الحديثة وذلك إلى غاية خمسينيات القرن الماضي، إذ عرفت هذه المرحلة بسيطرة مسألتين مهمتين هما: مسألة الدين والدولة كمسألة في الواجهة واضحة المعالم ومسألة الديمقراطية والاهداف القومية كمسألة تابعة لها، حيث لم يكن الخطاب السياسي في هذه المرحلة وحيداً ومنفرداً، وإنما كان يعود بالأساس إلى الخطاب النهضوي بمرجعياته المتمثلة في التراث والحداثة، والغالب على هذه المرحلة أن الخطاب السياسي لم يكن واقعياً على اعتبار أنه لم يعالج المشكلات السياسة المطروحة في وقتها بل اتخذ من التراث معياراً لمعالجتها وهذا ما أدى بالخطاب إلى ممارسة السياسة، ليست كخطاب في الواقع الراهن بل هي كخطاب يبحث عن واقع آخر غير واقعه كما أنه لا يدعو إلى محاولة فهم وتحليل وتغيير وإصلاح الواقع السياسي وتحليله وتغييره، بل يقفز عليه ليطرح واقعا بديلا عنه إما الواقع العربي الإسلامي الماضي الممجدله، وإما الواقع الأوروبي الحاضر في ثوبه الليبرالي(٤٣).

الجانب السياسي من أبرز الجوانب الفكرية التي اهتم بها الجابري في الفكر العربي الإسلامي ويقصد بالسياسة هي فعل له محدداته وتجلياته بوصفه سلطة تمارس في مجتمع تعبر عن علاقة قوي بين الطرفين يمارس أحدهما على الآخر نوعاً من السلطة خاصة وهي سلطة الحكم، وتخضع لمنطق داخلي يحكمها وينظم العلاقات بينها، ولقد اهتمت السياسة بالجانب الخطابي وهو جانب من جوانب الخطاب النهضوي فهو يمارس السياسة لا كخطاب في الواقع القائم إنما كخطاب يبحث عن واقع آخر ولقد تركز اهتمام الخطاب السياسي العربي الحديث على موضوعات لا تنتمي إلى السياسة انما البحث عن علاقتها بالسلطة والمواطن ،والمواطن بالسلطة ومن هنا يقصد ان الخطاب السياسي هو الذي يطرح مشكلة الدولة والمجتمع والعلاقة بينهما من منظور يعالج مسألة السلطة (٤٤).

الجابري يرى أن الخطاب السياسي العربي المعاصر يعيش مأزقاً بنيوياً، كونه خطاباً يبحث عن 'واقع متخيل 'بدلاً من مواجهة الواقع القائم، حيث ظل أسير إشكاليات تراثية كالدين والدولة

والعروبة والإسلام، ويُحلل الجابري 'العقل السياسي العربي 'من خلال ثلاث محددات لاشعورية تحكمه منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، وهي :القبيلة والعقيدة والغنيمة، معتبراً إياها المفاتيح الأساسية لفهم التاريخ العربي والاليات التي تعيق التحول نحو الديمقراطية.

ومن هنا يري الجابري ان السياسة هي التي تهتم باللغة ، وذلك لما تنطوي عليه من عناصر مهمة في تحريك إرادة الشعوب وتوجيهها نحو واقع أحسن مما هي عليه وضرورة التعبير عن الاراء عن طريق آلية الخطاب مما جعله المحرك الاساسي والرئيسي في الفكر العربي الاسلامي حديثا كان ام معاصرا، ولقد جعل الجابري ان اللغة لها أهمية في السياسة قبل العلم و الايديولوجيا وان العقل السياسي العربي تحكمه وتحركه ثلاث دوافع والتي تتمثل ما اصطلح على تسميه في الفكر العلمي والسياسي المعاصر باللاشعور وهي(القبيلة والعقيدة والغنيمة)وهي المفاتيح التي تساعد على قراءة التاريخ السياسي العربي الاسلامي وهي نفس العوامل التي تحدث عنها ابن خلدون من خلال تأكيده على أهمية العصبية القبيلة والدعوة الدينية والعامل الاقتصادي فبقي ابن خلدون حاضراً عند الجابري بتأكيده علي ثلاث مفاتيح في تفسيره للتاريخ العربي الاسلامي.

"**الخاتمة**"

تُؤدّي هذه الدراسة التحليلية النقدية إلى جملة من النتائج الجوهرية يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً :يُقدّم الجابري نموذجاً فريداً في الفكر العربي المعاصر لتحليل الخطاب من الداخل، أي بالانطلاق من إشكاليات التراث ذاتها لا من موقع المتفرج الخارجي، وهذا ما يجعل مشروعه منخرطاً في الهمّ العربي بأصالة واضحة، ويُميّزه عن كثير من المشاريع الفكرية التي تكتفي باستعادة الخطاب الغربي.

ثانياً :أسهم مشروعه في كشف البنية المعرفية الخفية التي تتحكم في الخطاب العربي، ولا سيما هيمنة النظام البياني على حساب النظام البرهاني، وهذا الكشف يُفسّر جزئياً ظاهرة الانفعالية وانعدام الحجاج العقلي المنهجي في الفضاء العمومي العربي، وهو ما نلحظه حتى في أعلى مستويات النقاش الفكري والسياسي.

ثالثاً :أثبتت الدراسة أن الخطاب العربي المعاصر يُعاني من تناقض بنيوي عميق :فهو يسعى إلى الحداثة باستخدام أدوات وأساليب ما قبل الحداثة، ويدعو إلى العقلانية عبر خطاب انفعالي وعاطفي، وينشد الاستقلالية المعرفية بينما يستنسخ نماذج فكرية وافدة دون هضمها ومعالجتها نقدياً.

رابعاً :بيّن النقد الموجَّه للجابري من قِبَل طرابيشي وأبي زيد وأركون وغيرهم أن مشروعه لا يخلو من نزعة انتقائية وتحيزات منهجية، وأن توظيفه لمفاهيم الابستيمولوجيا الغربية ينطوي على مفارقة في علاقته بمبدأ الاستقلالية المعرفية الذي يدعو إليه، بيد أن هذه الانتقادات تُعزز المشروع أكثر مما تُضعفه، إذ تفتح آفاقاً لتطويره.

خامساً :رغم هذه الانتقادات المشروعة، يبقى مشروع الجابري لبنةً أساسيةً في الفكر العربي النقدي، ومرجعاً لا يمكن تجاوزه لكل من يُحاول استيعاب أزمة العقل العربي وسُبل تجاوزها نحو مشروع نهضوي أصيل .فالجابري أرسى تقليداً نقدياً داخل الثقافة العربية يدعو إلى مساءلة الموروث بمنهجية عقلانية.

سادساً :الخطاب العربي اليوم بحاجة ماسة إلى استيعاب نقدي لما قدّمه الجابري، لا تقليداً أعمى ولا رفضاً مطلقاً، بل في إطار حوار نقدي مثمر يأخذ بعين الاعتبار تطور الدراسات اللغوية وتحليل الخطاب وعلم الاجتماع المعرفي في العقود الاخيرة، وما أفرزته العلوم المعرفية الحديثة من رؤى جديدة في فهم الوعي والادراك والبنى الرمزية.

سابعاً: .يُعدّ مشروع الجابري أول محاولة عربية منهجية وظّفت الابستيمولوجيا الغربية لدراسة التراث الاسلامي، وهذا ما يمنحه قيمته ومكانته المتميزة.

الهوامش

١ الجابري، محمد عابد. حفريات في الذاكرة من بعيد. المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص: ١٣ وما بعدها.

٢ جميل صليبا. المعجم الفلسفي. جزء الثاني. دار الكتاب اللبناني بيروت –لبنان ١٩٨٢ ، مادة: "إبستمولوجيا".

٣ د. عبد الفتاح سعيدي، إلابعاد إلابستمولوجية لنظرية العقل عند الجابري، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي (الجزائر)، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد:١، سنة:٢٠١٩.

٤ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (خ.ط.ب)، ج١، ص ٣٦٥.

٥محمد العبد، النص والخطاب والإتصال، إلاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٥.

٦تيون فان ديك، الخطاب والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٢م، ص ٢٢.

٧محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٢.

٨فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، ترجمة يوسف غازي، دار نعمان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٨٨-٩١.

٩ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧٤.

١٠المصدر نفسه ص ٧٦.

١١لويس ألتوسير، أيديولوجيا وأجهزة الدولة إلايديولوجية، ترجمة حنا صمويل، دار إلامير، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٧.

١٢الْمَرْهِج ، عَلِيّ عَبْدُ الْهَادِي: الْفَلْسَفَةُ وَالايْدِيُولُوجْيَا فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ هي سنة ٢٠٢٣. وقد صدر هذا الكتاب عن دار دجلة إلاكاديمية في بغداد. ص ٢٩٣.

١٣ الفسفة والايدولوجيا ..المصدر نفسه. ص ٢٩٣ .

١٤محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي (١): تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١١.

١٥ نقد العقل، المصدر نفسه، ص ١٤.

١٦محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٦-٢٨.

١٧ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ح.د.ث)، ج٢، ص ١٣١.

١٨التراث والحداثة، المصدر السابق: ص ١٧-١٨.

١٩محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، المصدر السابق، ص ٢٣.

٢٠جميل صليبا. المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت –لبنان ١٩٨٢ ، ج٢، ص 84

٢١ جميل صليبا. المعجم الفلسفي، المصد نفسه، ج٢، ص 91.

٢٢خطاب الجابري الفلسفي بين النقد و إلاعتراض،مجلة دراسات، العدد١، ٢٠٢٢، ص ٣٣٩ طبوش كريمة، محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص ١٥ ٢٣.

٢٤محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٥.

٢٥هشام جعيط، أزمة الثقافة إلاسلامية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٦٧.

٢٦محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٧-٤٢.

٢٧موساوي علال ، رسالة الماجستير، الخطاب الفلسفي العربي المعاصر، جامعة ابن خلدون تيارت كلية العلوم إلا نسانية والجتماعية،قسم علم نفس٢٠٢٣ص١٠)

٢٨محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٤٧.

٢٩اشكالية الفكر العربي ، المصدر نفسه، ص ٥١.

٣٠محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مرجع سابق، ص ١٠٧.

٣١طبوش كريمة،خطاب الجابري الفلسفي بين النقد و إلاعتراض،مجلة دراسات، العدد١، ٢٠٢٢، ص ٣٤١-

٣٢- طبوش كريمة،خطاب الجابري الفلسفي بين النقد و إلاعتراض،مجلة دراسات، العدد١، ٢٠٢٢، ص ٣٣٩

٣٣المصدر نفسه، ص ٣٤٣.

٣٤محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص ٣٧.

٣٥محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المصدر السابق، ص ٤٢.

٣٦سالمي العالية، إعادة بناء العقالنية العربي محمد عابد الجابر،جامعة قاصدي مرباح –ورقلة ، كلية العلوم إلانسانية وإلاجتماعية، شعبة الفلسفة ،٢٠٢٣م ص٤٤.

٣٧عبد الله موسى انسانيان المجلة الجزائرية في إلانثروبولوجيا والعلوم إلاجتماعية ١٩٩٧ص 10.

٣٨.محمد عابد الجابري: التراث والحداثة،دراسات ومناقشات،مركز دراسات الوحدة العربية،ط٢، ١٩٩١،ص١٢-١٣.

٣٩ محمد عابد الجابري. تكوين العقل العربي. المصدر سابق ص ٧٥.

٤٠ محمد عابد الجابري. الخطاب العربي المعاصر، مصدر سابق، ص ١٦٩-١٧٠

٤١محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩م، ص 103

٤٢اشكالية الفكر العربي المعاص: الصدر السابق ص.108

٤٣ . سعودي مفتاح الخطاب السياسي لدى الجابري وتجلياته في الفكر العربي المعاصر تاريخ التسليم ٥/١١/٢٠١٤م، تاريخ القبول: ٢٨/١٢/٢٠١٤م ** أستاذ مشارك / قسم التاريخ / جامعة المسيلة الجزائر-ص ٩٢

1 ٤٤محمد عابد الجابري .العقل السياسي العربي .مركز د ا رسات الوحدة العربية .شارع ليون .بيروت .لبنان . الطبعة ط١.

.اغسطس .١٩٨٣. ص12 -10.

المصادر والمراجع

أ.المصادر العربية الاساسية

١-ابن منظور .لسان العرب. دار صادر، بيروت، (د.ت).

٢-الجابري، محمد عابد .إشكاليات الفكر العربي المعاصر. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩م.

٣-الجابري، محمد عابد .التراث والحداثة: دراسات ومناقشات. المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.

٤-الجابري، محمد عابد .حفريات في الذاكرة من بعيد. المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٥-الجابري، محمد عابد .نقد العقل العربي: بنية العقل العربي. المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.

٦-الجابري، محمد عابد .نقد العقل العربي: تكوين العقل العربي. المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٠م.

٧-الجابري، محمد عابد .نقد العقل العربي: العقل السياسي العربي. المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

٨-الجابري، محمد عابد .المثقفون في الحضارة العربية: المحنة والزعامة. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥م.

٩-المرهج، علي عبد الهادي .الفلسفة والأيديولوجيا في الفكر العربي المعاصر. دار دجلة الأكاديمية، بغداد، ٢٠٢٣م.

ب .الدراسات النقدية

١٠- أبو زيد، نصر حامد .النص والسلطة والحقيقة .المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995م.

١١- أبو زيد، نصر حامد .إشكاليات القراءة وآليات التأويل .المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.

١٢- جعيط، هشام .أزمة الثقافة الاسلامية، دار الطليعة، بيروت، 1985م.

١٣- طرابيشي، جورج .نقد نقد العقل العربي :إشكاليات العقل العربي .دار الساقي، بيروت، 1998م.
١٤- طرابيشي، جورج .نقد نقد العقل العربي : وحدة العقل العربي الاسلامي .دار الساقي، بيروت، 2002م.

ج .المراجع المترجمة

١٥- أركون، محمد .تاريخية الفكر العربي الاسلامي .ترجمة هاشم صالح .مركز الانماء القومي، بيروت، 1986م.
١٦- أركون، محمد .الاسلام والحداثة وما بعد الحداثة .ترجمة هاشم صالح .دار الساقي، بيروت، 1996م.
١٧- ألتوسير، لويس .أيديولوجيا وأجهزة الدولة الايديولوجية .ترجمة حنا صمويل .دار الامير، بيروت، 1993م.
١٨- العبد، محمد .النص والخطاب والاتصال .الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2004م.
١٩- باشلار، غاستون .تكوين العقل العلمي .ترجمة خليل أحمد خليل .المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003م.
٢٠- دي سوسير، فرديناند .محاضرات في علم اللغة العام .ترجمة يوسف غازي .دار نعمان، بيروت، 1984م.
٢١- فان ديك، تيون .الخطاب والسياق .ترجمة عبد القادر قنيني .أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012م.
٢٢-- فوكو، ميشيل .حفريات المعرفة .ترجمة سالم يفوت .المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987م.

د .الدراسات الجامعية

٢٣- سالمي، العالية .إعادة بناء العقلانية العربية :محمد عابد الجابري .جامعة قاصدي مرباح —ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، شعبة الفلسفة، 2023م.
٢٤- سعيدي. د. عبد الفتاح سعيدي، الابعاد الابستمولوجية لنظرية العقل عند الجابري، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي (الجزائر)، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد:١، سنة:٢٠١٩.
٢٥- موساوي، علال .الخطاب الفلسفي العربي المعاصر .جامعة ابن خلدون —تيارت، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2023م.

Sources and References

A. Primary Arabic Sources

1-Ibn Manzur. Lisan al-Arab. Dar Sader, Beirut, (n.d.(.
2-Al-Jabiri, Muhammad Abed. Problems of Contemporary Arab Thought. Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1989.
3-Al-Jabiri, Muhammad Abed. Heritage and Modernity: Studies and Discussions. Arab Cultural Center, Beirut, 1991.
4-Al-Jabiri, Muhammad Abed. Excavations in Memory from Afar. Arab Cultural Center, Beirut, 1997.
5-Al-Jabiri, Muhammad Abed. Critique of Arab Reason: The Structure of Arab Reason. Arab Cultural Center, Beirut, Fifth Edition, 1993.

6-Al-Jabiri, Muhammad Abed. Critique of Arab Reason: The Formation of Arab Reason. Arab Cultural Center, Beirut, Eighth Edition, 2000.

7-Al-Jabiri, Muhammad Abed. Critique of Arab Reason: Arab Political Reason. Arab Cultural Center, Beirut, 1990.

8-Al-Jabiri, Muhammad Abed. Intellectuals in Arab Civilization: Ordeal and Leadership. Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995.

9- Al-Murhej, Ali Abdul-Hadi. Philosophy and Ideology in Contemporary Arab Thought. Dar Dijla Academic, Baghdad, 2023.

B. Critical Studies

10-Abu Zayd, Nasr Hamid. Text, Authority, and Truth. Arab Cultural Center, Beirut, 1995.

11- Abu Zayd, Nasr Hamid. Problems of Reading and Mechanisms of Interpretation. Arab Cultural Center, Beirut, 1992.

12- Jait, Hisham. The Crisis of Islamic Culture. Dar Al-Tali'a, Beirut, 1985.

13- Tarabishi, George. A Critique of the Critique of Arab Reason: Problems of the Arab Mind. Dar Al-Saqi, Beirut, 1998.

14- Tarabishi, George. A Critique of the Critique of Arab Reason: The Unity of the Arab Islamic Mind. Dar al-Saqi, Beirut, 2002.

C. Translated References

15- Arkoun, Muhammad. The Historicity of Arab-Islamic Thought. Translated by Hashim Saleh. National Development Center, Beirut, 1986.

16- Arkoun, Muhammad. Islam, Modernity, and Postmodernity. Translated by Hashim Saleh. Dar al-Saqi, Beirut, 1996.

17- Althusser, Louis. Ideology and the Ideological State Apparatus. Translated by Hanna Samuel. Dar al-Amir, Beirut, 1993.

18- Al-Abd, Muhammad. Text, Discourse, and Communication. Modern Academy for University Books, Cairo, 2004.

19- Bachelard, Gaston. The Formation of the Scientific Mind. Translated by Khalil Ahmad Khalil. Arab Organization for Translation, Beirut, 2003.

20- Ferdinand de Saussure. Course in General Linguistics. Translated by Yusuf Ghazi. Dar Numan, Beirut, 1984.

21- Van Dijk, Tion. Discourse and Context. Translated by Abdelkader Qanini. Africa East, Casablanca, 2012.

22- Foucault, Michel. The Archaeology of Knowledge. Translated by Salem Yafout. Arab Cultural Center, Beirut, 1987.

University Studies

23- Salmi, Alia. Reconstructing Arab Rationality: Mohammed Abed Al-Jabri. Kasdi Merbah University — Ouargla, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Philosophy, 2023.

24- Saidi, Dr. Abdel Fattah Saidi, The Epistemological Dimensions of Al-Jabri's Theory of Mind, University of Shahid Hamma Lakhdar, El Oued (Algeria), Al-Siraj Journal of Education and Social Issues, Issue: 1, 2019.

25- Moussaoui, Allal. Contemporary Arab Philosophical Discourse. Ibn Khaldoun University — Tiaret, Faculty of Humanities and Social Sciences, 2023.